

## يوم صيد

للأديب حسين شوقي

ما كادت تلوح بالأفق خيوط النهار الفضية الأولى ، حتى كنا انتبهنا من نومنا : صديقاى وأنا ، وقد أزمعنا الذهب لصيد البط فى ضواحي الهرم ، وكان كل منا يحمل بندقية ذات عيارين وعدداً كبيراً من الخرطوش ، صعدنا السيارة ونحن أشدهججة من فصائل اسكندر المقدوني الفتية لدى زحفها على آسيا .

أما المدينة فكانت غارقة فى النوم فى تلك الساعة المبكرة ساكنة بأحقادها وشهواتها ، ولم يكن أحد مستيقظاً ، اللهم الا محرك سيارتنا . سارت بنا السيارة فى شارع الهرم ، ولما بلغنا المستنقعات الواقعة فى الجهة الغربية من طريق الهرم ، غادرتاها وركبنا زورقاً طلى بالظلاء الأسود حتى لا نشعر البط بوجودنا بالمستنقع ، وكان موجوداً بكثرة على سطح الماء .. هل كان البط نائمًا وقتئذ ؟ لم يكن لدينا شك فى ذلك برغم اعتراض دليلنا - وكان فنى قرويا - وذلك لسكونه سكوتاً عجيباً ..

ولكننا كنا مخطئين إذ لم نكد نقرب منه حتى انطلق فى الجو . كأنه سهم نارى فأطلقنا عليه البنادق فى الهواء ولكن بدون جدوى رغم عدده الكثير .. لقد ظهرنا فى عيني دليلنا القروى صيادين غير ماهرين ، فانتزع بندقية أحدنا وأطلق طلقة واحدة أسقطت بطه فى الحال !

وا أسقاه على الدروس التى تلقيتها فى صباى للصيد فى الهواء ! كنت أتمرن وقتئذ على البيض ، يقذفون لى البيض فى الهواء فأطلق عليه بندقيتى فاذا أصيب البيض وهو ما كان يقع نادراً - سال فأمطرنا مطراً أصفر !

وبعد محاولات يائسة لصيد البط ، غادرتنا للمستنقع اذ لم نجد سبيلاً الى البط فهو شديد الفطنة ..

كيف يدرك البط الخطر على مسافات بعيدة ؟ إن شأنه شأن الحمام الأراجل الذى يعرف طريق الوطن على بعد مئات من الأميال . هل تكشف لنا الطبيعة يوماً عن مثل هذه الأسرار ؟

قبل أن نتأدر المكان تركنا لدليلنا القروى البطه التى صادها هو ، حتى لا نذكرنا فشلنا على الدوام ..

هل كنا نمود وقتئذ الى المنزل ؟ لم يكن فى استطاعتنا أن نفعل ذلك ، إذ لو عدنا لصرنا سخرية الجميع .. صممنا بعد ذلك على البحث عن طير يكون أقل فطنة من البط ..

هانحن أولاً نسير وسط الشيطان التى كسيت بساطاً أخضر جيلاً من البرسيم .. ثم اعترضنا ترعة لا جسر عليها للبرور ، وكنا فى حيرة من أمرنا حينما أقبل قروى وتطوع أن يحملنا على ظهره عبر الترعة . وقد مررت بهذه الطريقة ، ومر أحد صديقى . وأما الصديق الثالث وكان بديناً ، فقد غمز هو وحمله فى الطين ، وبدلاً من أن يعمل على الخروج من الترعة ، أخذ يضرب القروى المسكين ! . ياله من منظر مضحك أناسا فشلنا مع البط !

ثم أقبل قرويان آخران ققاما بعملية النجدة .. بعد ذلك بلغنا مكاناً مظلاً بالأشجار الكثيفة ، حيث أخذت العاصير ترفق جزلة مسرورة .. وقد شاهدنا على أحد النصوص يماثين تتناحيان ، كم كان منظرها جميلاً ، وقد طوق عنقاها بطوق فاحم جميل ، كما رُصع منقارها بالياقوت ..

ثم حدث ما كنت أخشى وقوعه ، فقد اقترح صديقاى أن نصطادها ! لم يكن فى طاقتى أن أطلق النار على هذين المخلوقين الجميلين ، إنها حقاً لوحشية ! لذلك رفضت ، فقال أحد صديقى ليقتنى : أطلق ولا تكن غيبياً ، لقد حالت لك الصيد قوانين السموات والأرض ! فقلت : ليكن ، ولكن قلبى لا يطاوعنى ! ولما رآنى صديقى مصمماً على الامتناع ، أطلق هو عياراً فأردى إحدى اليمامتين ، سقطت وقد كسر جناحها ، كأنف خرطوشة أخرى لا بد أنها اخترقت قلبها ، لأن الدم كان يسيل من منقارها بغيرارة .

ورغم وحشيتنا هذه كانت عينا اليمامة ترمقانا فى حنان ، كأنها قد غفرت لنا فعلنا كما غفر عيسى من قبل لضطهديه اليهود ! يا للأسف ! إننا مازلنا متوحشين نسرل رؤية الدم ! كم نحن بعيدون عن المثل العليا التى ينشدها أفلاطون !

ومن ذلك اليوم كرهت الصيد ، فكل عام أجدد رخصتى دون أن أجدد زغبتي .

حسين شوقي